المنح الربانية المشتركة بين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وأمته

دراسة في ضوء القرآن الكريم

دكتور/ غازي وصل سالم الذبياني الجهني

أستاذ مساعد بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

كلية العلوم والآداب بالعلا

جامعة طيبة- المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

يدور هذا البحث حول المنح الربانية المشتركة بين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وأمته

دراسة في ضوء القرآن الكريم، ونظرا لكثرة هذه المنح فقد رأيت تقسيمه إلى فصلين : الفصل الأول : التخلية: وفيه مبحثان :-المبحث الأول : رفع الحرج . والمبحث الثاني: الوعد بغفران الذنب . أما الفصل : فهو عن التحلية : وفيه سبعة مباحث:-المبحث الأول : إتمام النعمة .المبحث الثاني : الهداية للصراط المستقيم .المبحث الثالث : الوعد بالنصر. المبحث الرابع : التثبيت .المبحث الخامس : الترضية .المبحث السادس : الأجر المتتابع .المبحث السابع : الشهادة على الأمم .

كلمات مفتاحية: **المنح الربانية، النبي، الأمة، القرآن**.

Research Summary:

This research revolves around the joint divine grants between the beloved Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, and his nation.

A study in the light of the Noble Qur'an, and in view of the large number of these grants, I saw dividing it into two chapters: The first chapter: the abandonment: *takhliah* and in it there are two sections: The first topic: raising the embarrassment. The second topic: the promise of forgiveness of sins. As for the chapter: it is about sweetening:*tahleeah*, and it includes seven topics: - The first topic: the completion of grace. The second topic: Guidance to the straight path. The third topic: The promise of victory. The fourth topic: confirmation. The fifth topic: satisfaction. The sixth topic: successive pay. The seventh topic: testimony to the nations.

Keywords: divine grants, the Prophet, the nation, the Qur'an.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى البشرية بالقرآن الكريم، كتاب مبارك أنزله على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، جعله الله تعالى هاديا ومبشرا ومنذرا، فيه سعادة الدارين لمن آمن وصدق وعمل، والشقاء لمن أعرض ورد وكفر.

أودع في كتابه أسرارا، وحكما، وعلوما، ومعارف، لا يحصيها إلا هو سبحانه، ورغب في العناية به، قراءة، وحفظا، وتدبرا، قال سبحانه وتعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء :٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد :٢٤].

ونتيجة للتدبر والتأمل فتح الله على المتدبرين، فخلصوا إلى فوائد ونكت وهدايات، سطروها في مصنفاتهم، وها هي المكتبة القرآنية اليوم زاخرة بالمصنفات المتعددة الممتعة .

سبب اختيار البحث :

لقد أحببت أن أدلي بدلوي في خدمة كتاب الله تعالى، ونفع الناس بما يفتح الله تعالى به علي،وفكرت في موضوع يدور حول الحبيب المصطفى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فلفت نظري وجود تشابه في بعض الآيات التي عُنِي بها حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام والتي عني بها أمته، فأحببت أن أبرز ذلك في هذا البحث وسميته " **المنح الربانية المشتركة بين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وأمته** ".

خطة البحث:

يتكون البحث من :

مقدمة :-

المقدمة اشتملت على : بيان سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهج البحث .

الفصل الأول : التخلية: وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : رفع الحرج .

المبحث الثاني : الوعد بغفران الذنب .

الفصل الثاني: التحلية : وفيه سبعة مباحث:-

المبحث الأول : إتمام النعمة .

المبحث الثاني : الهداية للصراط المستقيم .

المبحث الثالث : الوعد بالنصر.

المبحث الرابع : التثبيت .

المبحث الخامس : الترضية .

المبحث السادس : الأجر المتتابع .

المبحث السابع : الشهادة على الأمم .

منهج البحث :

سلكت في كتابة هذا البحث المنهج التالي :

- جمعت الآيات المتعلقة بالموضوع .
- بينت معانيها، وما ذكره أهل التفسير في ذلك .
- خرجت الآيات بذكر السورة ورقم الآية .
- خرجت الأحاديث الواردة في البحث، بذكر الجزء والصفحة، والباب، والكتاب، ورقم الحديث .
- وثقت كل معلومة أوردتها في هذا البحث بذكر مصدرها .
- ابتعدت عن الإطالة والحشو، واقتصرت على ما يبين المراد .

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات .ثم قائمة المراجع.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول : التخلية

المبحث الأول : رفع الحرج .

الحَرَجُ: المأْثم، والحارِجُ: الآثِم...ورجُلٌ حَرِج وحَرَج الضَيِّق الصَدْر، وحَرِجَ صدرهُ: أيْ ضاق ولا ينشَرحُ لخَير ،وقَوْلُ الله تعالى:﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾الأنعام:١٢٥[١].

قال الجوهري رحمه الله:(مَكانٌ حَرَجٌ وحَرِجٌ، أي ضيِّقٌ كثير الشجَر لا تصل إليه الراعية. والحَرَجُ: الإثمُ) [٢] .

وقال ابن فارس رحمه الله :(الحاء والراء والجيم أصل واحد، وهو معظم الباب وإليه مرجع فروعه،وذلك تجمع الشيء وضيقه، ومن ذلك: الحرج الإثم، والحرج الضيق)[٣].

قال الله عز وجل في حق نبينا صلى الله عليه وسلم :﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾]الأحزاب:٣٨] .

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ ﴾وهذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة، أعلمهم أنه ليس على النبي صلى الله عليه وسلم من إثم في نيل ما أحل الله له ورخص وأباح من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه إياها، وهي : (زينب بنت جحش بن رياب أم المؤمنين، وابنة عمة رسول الله –صلى الله عليه وسلم، أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي أخت: حمنة، وأبي أحمد، من المهاجرات الأول، كانت عند زيد مولى النبي –صلى الله عليه وسلم، توفيت في سنة عشرين، وصلى عليها عمر رضي الله عنه)[٤] وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراق زيد بن حارثة رضي الله عنه لها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: « فاذكرها علي »، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(١) – انظر : كتاب العين (٧٦/٣)، تهذيب اللغة (٨٤/٤) .
(٢) – الصحاح (٣٠٥/١) .
(٣) – مقاييس اللغة (٢٠/٢)، وانظر : شمس العلوم (١٤١٠/٣).
(٤) – سير أعلام النبلاء (٢١١/٢).

فدخل عليها بغير إذن، قال، فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب، قال: ووعظ القوم بما وعظوا به)[1].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : " ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أولم على أحد من نسائه ما أولم عليها، أي زينب بنت جحش، أولم بشاة "[2]، وعنه رضي الله عنه أنه كان يقول : " نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزا ولحما، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء" [3].

وكانت زينب رضي الله عنها أول من توفيت من أزواج النبي بعده، وكانت امرأة صناعا، فكانت تدبغ، وتخرز، وتكثر الصدقة بكسب يدها، وهي أول امرأة حملت على نعش لأن عمر قال حين ماتت: واسوأتاه تحمل أم المؤمنين مكشوفة كما يحمل الرجال فقالت أسماء بنت عميس: يا أمير المؤمنين إني قد كنت شاهدت في بلاد الحبشة شيئاً فيه للمرأة صيانة ووصفته له فأمر بعمله فلما رآه قال: نِعم خباء الظعينة [4].

وكان زيد بن حارثة رضي الله قد تبناه النبي صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: (ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[الأحزاب: ٥])[5] .

وقيل ما كان على النبي من حرج في نكاح التي وهبت نفسها للنبي إذ زوجها الله تعالى إياه بغير صداق ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قد تطوع عليها وأعطاها الصداق، وقيل: في أن ينكح من شاء من النساء وإن حرم على أمته أكثر من أربع لأن اليهود عابوه بذلك، وهذا دفع لطعن من طعن في الرسول صلى الله عليه وسلم، في كثرة

(١) – رواه مسلم في صحيحه (١٠٤٨/٢)، كتاب : النكاح، باب : زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، حديث رقم (١٤٢٨).

(٢) – رواه البخاري في صحيحه (٢٤/٧)، كتاب : النكاح، باب : من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض، حديث رقم (٥١٧١).

(٣) – رواه البخاري في صحيحه (١٢٥/٩)، كتاب : التوحيد، باب : {وكان عرشه على الماء} [هود: ٧]، {وهو رب العرش العظيم} [التوبة: ١٢٩]، حديث رقم (٧٤٢١).

(٤) – انظر : الطبقات الكبرى (١١١/٨)، الهداية في بلوغ النهاية (٥٨٤٣/٩) .

(٥) – رواه مسلم في صحيحه (١٨٤٤/٤)، كتاب : الفضائل، باب : فضائل زيد بن حارثة، حديث رقم (٢٤٢٥).

أزواجه، وأنه طعن، بما لا مطعن فيه، فقال: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾أي: إثم وذنب. ﴿ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ أي: قدر له من الزوجات، فإن هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله [1] . ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾السنة الطريقة المعتادة أي ليس على الأنبياء حرج فيما أحل الله لهم، ولم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل، ولم يكن لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له والَّذِينَ خَلَوْا هم الأنبياء بدليل وصفهم بعد بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[الأحزاب:٣٩]، وأَمْرُ اللَّهِ في الآية أي مأمورات الله والكائنات عن أمره فهي مقدورة، فالذين خلوا من قبل في النبيين الذين قبل محمد – صلى الله عليهم وسلم، وسنة الله تعالى في التوسعة على محمد – صلى الله عليه وسلم – فيما فرض الله له كسنته في الأنبياء الماضين في كثرة تزوج النساء، فقد كان الأنبياء يتزوجون بنسوة كثير أبكار ومطلقات، و كانت تحتهم المهائر والسراري، كما فعل كداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام الذين نكحوا عددا ممن النساء، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ يقول: وكان أمر الله قضاء مقضيًّا كائنا مفعولاً ماضيا، وفيه أخبر الله تعالى أن أمر زينب من حكم الله وقدره) [2].

قال القرطبي رحمه الله :(هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة أعلمهم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء أن ينالوا ما أحله لهم، أي سن لمحمد صلى الله عليه وسلم التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية، و " سنة" نصب على المصدر، أي سن الله له سنة واسعة)[3].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (هذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه، الذي كان قد تبناه ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾أي: وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن) [4].

---

(١) – انظر : جامع البيان (٢٧٦/٢٠)، بحر العلوم (٦٣/٣)، الهداية في بلوغ النهاية (٥٨٤٣/٩)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٧٤/٣)، تفسير السمعاني (٢٨٩/٤) ، الكشاف (٥٤٣/٣)، مفاتيح الغيب (١٧٠/٢٥)، تيسير الكريم المنان (٦٦٦/١) .

(٢) – انظر: جامع البيان (٢٧٦/٢٠)، بحر العلوم (٦٣/٣)، الهداية في بلوغ النهاية (٥٨٤٣/٩)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، معاني القرآن وإعرابه (٢٣٠/٤)، الهداية في بلوغ النهاية (٥٨٤٣/٩)، الكشاف (٥٤٣/٣)، معالم التنزيل (٦٤٥/٣)، زاد المسير (٤٦٩/٣) .

(٣) –الجامع لأحكام القرآن (١٩٥/١٤) .

(٤) – تفسير القرآن العظيم (٤٢٧/٦) .

قال الله عز وجل في حق أمة محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[الحج : ٧٨] .

في هذه الآية الكريمة أمر الله عباده أن يجاهدوا في سبيله الكفار، والنفس والهوى، وأن لايخافوا في الله لومة لائم، و حق الجهاد هو استفراغ الطاقة فيه [١] .

وبين سبحانه وتعالى أنه اجتبى أمة محمد عليه الصلاة والسلام، أي اختارهم لدينه، واصطفاهم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله[٢].

قال الواحدي رحمه الله: (أكثر المفسرين حملوا الجهاد ههنا على جميع أعمال الطاعة، وقالوا: حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى)[٣].

وقال القرطبي رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ أي : اختاركم للذب عن دينه والتزام أمره، وهذا تأكيد للأمر بالمجاهدة، أي وجب عليكم أن تجاهدوا لأن الله اختاركم له) [٤].

وقوله:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ أي وما جعل عليكم ربكم جل جلاله في الدين الذي تعبَّدكم به وهو الإسلام من ضيق، بل وسَّع عليكم، ولم يكلفكم مجهود الطاقة، وإنما كلفكم دون ما تطيقون، فمن أذنب ذنبا لم يبق في ضيق ذلك الذنب، وله منه مخرج، إما بالتوبة، أو القصاص، أو بنوع كفارة، أو برد مظلمة، فلم يبتل المؤمنين بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرج، وجعل الله على من لم يستطع الشيء الذي يثقل في وقت، ما هو أخف منه، فجعل للصائم الإفطار في السفر، وبقصر الصلاة للمصلي إذا لم يطق القيام أن يصلي قاعدا، وإن لم يطق القعود أن يومئ إيماء، وجعل للرجل أن يتزوج أربعا، وجعل له جميع ما ملكته يمينه، وأكل الميتة عند الضرورة، فوسع الله عز وجل على خلقه، و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق، هو واسع، وهو مثل قوله تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾[الأنعام : ١٢٥] وعنه

(١) – انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٨٨)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٨١/٣) الكشاف (١٧٢/٣).

(٢) – انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٨٨)، بحر العلوم (٢/ ٤٧١)، النكت والعيون (٤/ ٤١).

(٣) –الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٨١/٣)، معالم التنزيل (٣/ ٣٥٤) .

(٤) – الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٩٩) .

رضي الله عنهما، أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الإصر والشدائد التي كانت عليهم، وضعها الله تعالى على هذه الأمة، وقيل المراد ما جعل عليكم من ضيق في أوقات فروضكم إذا التبست عليكم، ولكنه قد وسع عليكم حتى تَيَقَّنوا محلها' فالخلاص من المعاصي بالتوبة، والمخرج من الأيمان بالكفارة، وقيل :المراد تقديم الأهلة وتأخيرها في الصوم والفطر والأضحى، وقيل : المراد رخص السفر من القصر والفطر، وقيل : هو عام لأنه ليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من المأثم فيه، وقيل أن معنى الآية أن الله تعالى لم يكلف نفسا فوق وسعها [1].

قال الزمخشري رحمه الله وعفا عنه :(﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ فتح باب التوبة للمجرمين، وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والأروش، ونحوه قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[البقرة:١٨٥]وأمّة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة)[2].

وقوله: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي الزموا واتبعوا ملة أبيكم إبراهيم، أو افعلوا الخير فعل أبيكم إبراهيم. ويقال: معناه وما جعل عليكم في الدين من حرج ولكن جعل لكم ملة سمحة سهلة كملة أبيكم إبراهيم، وقيل أنه وسع عليكم في الدين كما وسع ملة أبيكم إبراهيم، وقيل: ملة إبراهيم –وهي دينه– لازمة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وداخلة في دينه، وقيل : علينا ولاية إبراهيم عليه الصلاة والسلام وليس يلزمنا أحكام دينه

وقوله:﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ أي الله سبحانه سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل، وقال آخرون: بل إبراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم المسلمين ألا ترى قول إبراهيم:﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[البقرة :١٢٨]، ولا وجه لهذا القول لأنه معلوم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل، وقد قال الله تعالى ذكره:﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن، وفي القرآن، هو الله عز وجل، وأما قوله:﴿ مِن قَبْلُ ﴾

(١) – انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٨٨)، معاني القرآن وإعرابه (٤٤٠/٣)، بحر العلوم (٢/ ٤٧١)، النكت والعيون (٤/ ٤١)، التفسير الوسيط (٣/ ٢٨١)، تفسير السمعاني (٤٥٨/٣)، معالم التنزيل (٤٠٣/٥) .

(٢) – الكشاف (٣/ ١٧٣).

فإن معناه: من قبل نزول هذا القرآن في الكتب التي نزلت قبله﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ يعني القرآن [1].

وقوله:﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين، ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة، بأنه قد بلَّغكم ما أرسل به إليكم، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين، أنهم قد بلَّغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم' لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها؛ فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك، وهذا كقوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة :١٤٣] [2].

قوله تعالى: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ فأدّوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم " وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ " أي : ثقوا بالله تعالى، وتوكلوا عليه في أموركم، وامتنعوا به من عدوكم، وأخلصوا له، واطلبوا النجاة منه، وارفضوا التوكل على سواه فهو مالككم ومتولي أموركم، وقيل: الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، " فَنِعْمَ المَوْلَى " نعم الولي الحافظ الله تعالى لمن فعل ذلك منكم، فأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده، واعتصم به ﴿ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ أي : ونعم الناصر المانع من الأعداء [3].

المبحث الثاني: الوعد بغفران الذنب

قال الله تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[الفتح :٢] .

هذه الآية مسبوقة بقوله تعالى :﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[الفتح :١] فهي مرتبطة بها، والمراد بالفتح في الآية إما فتح مكة، أو صلح الحديبية، ويكون المعنى : إنا حكمنا لك

(١) – انظر: جامع البيان (٦٩١/١٨)، معاني القرآن وإعرابه (٤٤٠/٣)، بحر العلوم (٤٧٢/٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٩٣٨/٧)، النكت والعيون (٤٢/٤).

(٢) – انظر: جامع البيان (٦٩٣/١٨)، بحر العلوم (٤٧٢/٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٩٣٨/٧)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٥).

(٣) – انظر: جامع البيان (٦٩٤/١٨)، بحر العلوم (٤٧٢/٢)، الهداية في بلوغ النهاية (٤٩٤٠/٧)، النكت والعيون (٤٣/٤)، معالم التنزيل (٤٠٤/٥)، المحرر الوجيز (١٣٥/٤)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/٥).

يا محمد على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر، لتشكر ربك، وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم، وفتحه ما فتح لك، ولتسبحه وتستغفره، فيغفر لك بفعالك ذلك، ما تقدَّم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح، وما تأخَّر من ذنبك بعد فتحه لك ذلك .

وهـــــذا المعنى يدل عليه قول الله عزَّ وجلَّ:﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ سورة النصر:١-٣، ويدل عليه الأحاديث الكثرة الدالة على كثرة استغفاره عليه الصلاة والسلام، وحديث المغيرة بن شعبة رضي الله حيث قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم، أو تنتفخ قدماه، فيقال له، فيقول: " أفلا أكون عبدا شكورا ")[1].

ولو حمل معنى الآية الكريمة على غير هذا المحمل لم يكن لأمره عليه الصلاة والسلام بالاستغفار بعد هذه الآية، ولا لاستغفار ربه جلَّ جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل، إذ الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه عزّ وجلَّ غفران ذنوبه، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى، لأنه لا يقال: اللهم اغفر لي ذنبا لم أعمله.

واعترض على هذا القول ابن عطية رحمه فقال في بيان معنى الآية : (عظم الله أمر نبيه بأن نبأه أنه غفر له ما تَقَدَّمَ من ذنبه وَما تَأَخَّرَ، فقوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ ﴾هي لام كي، لكنها تخالفها في المعنى، والمراد هنا : أن الله فتح لك لكي يجعل ذلك أمارة وعلامة لغفرانه لك، فكأنها لام صيرورة، ... وقال الطبري وابن كيسان المعنى: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ ﴾ فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك، وبنيا هذه الآية مع قوله تعالى:﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾[سورة النصر: ١] السورة إلى آخرها...وهذا ضعيف من وجهين أحدهما: أن سورة،﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾[سورة النصر:١] إنما نزلت من آخر مدة النبي عليه السلام ناعية له نفسه حسبما قال ابن عباس عند ما سأل عمر عن ذلك.

والآخر: أن تخصيص النبي عليه السلام بالتشريف كان يذهب، لأن كل أحد من المؤمنين هو مخاطب بهذا الذي قال الطبري، أي سبح واستغفر لكي يغفر الله، ولا

---

(١) – رواه البخاري في صحيحه (١٦٧/٣)، كتاب : تفسير القرآن، باب : {وكنتُ عليهمْ شَهيداً ما دُمْتُ فيهم فلمَّا تَوَفَّيْتَني كُنْتَ أنْتَ الرقيبَ عليهمْ وأنْتَ على كُل شيءٍ شهيدٌ}، حديث رقم (١٨٩٨)، ورواه مسلم في صحيحه (٢١٧٦/٤)، كتاب : صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث رقم (٢٨١٩).

يتضمن هذا أن الغفران قد وقع، وما قدمناه أولا يقتضي وقوع الغفران للنبي عليه السلام، ويدل على ذلك قول الصحابة له حين قام حتى تورمت قدماه: أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا» فهذا نص في أن الغفران قد وقع [١].

والذي يظهر لي أن اعتراض ابن عطية رحمه الله عليل من وجوه هي:

– أنه قصر معنى سورة النصر على أنه إخبار بدنو أجل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ليس هو المراد من السورة، وإنما هو معني موجود فيها – مع ما فيها من التبشير بالنصر، ودخول الناس في الدين، والأمر بالاستغفار –، وما فهمه ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يفهمه أكثر الصحابة، بل فهموا أن الله تعالى يأمر نبيه بكثرة التسبيح والاستغفار حينما يفتح الله عليه وينصره ويكثر الداخلون في الإسلام .

– كون السورة متأخرة النزول لا يؤثر، والمتقدم النزول والمتأخر سواء إلا ما نسخ .

– وقوله (أن تخصيص النبي عليه السلام بالتشريف كان يذهب، لأن كل أحد من المؤمنين هو مخاطب بهذا الذي قال الطبري) لا يسلم له بل ذلك يزيده تشريفا وبيانا لفضله حيث أخبر بأن الله سيريه النصر وانتشار دعوته ودخول الناس في دينه أفواجا.

– واستدلاله بالحديث يرده استدلال الطبري رحمه الله به.

– جعله اللام للصيرورة خلاف فعل المفسرين الذين جعلوها لام كي .

–قال ابن الجوزي رحمه الله : (لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النِّعمة في الفتح، فلمّا انضمَّ إلى المغفرة شيءٌ حادِثٌ، حَسُنَ معنى «كي»، وغلط من قال: ليس الفتح سببَ المغفرة) [٢] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره... وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صلوات الله وسلامه عليه في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة)[٣].

(١) – المحرر الوجيز (١٢٦/٥) .

(٢) – انظر: زاد المسير (١٢٧/٤) .

(٣) – تفسير القرآن العظيم (٣٢٨/٧).

وهناك أقوال كثيرة في معنى الآية ذكرها المفسرون، بعضها ركيك لا يذكر لشذوذه، والمشهور منها تجتمع فيما يلي :

- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ يعني: ذنب آدم، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ يعني: ذنب أمتك [١] .
- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ ما كان قبل نزول الوحي، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ما كان بعده [٢] .
- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾"من ذنب أبيك إبراهيم، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ من ذنوب النبيين[٣].
- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾قبل الفتح، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ بعد الفتح[٤] .
- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ما وقع، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور إذا كان[٥].
- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ قبل نزول هذه الآية، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾بعدها[٦] .
- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ في الجاهلية قبل الرسالة، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾إلى وقت نزول هذه السورة[٧].
- قيل: ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مما يكون، وهي الصغائر[٨] .
- ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ ما عملت في الجاهلية، و ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد، كما يقال: أعطى من رآه ولم يره، وضرب من لقيه ومن لم يلقه[٩] .
- لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك[١٠] .

ومما يحسن إيراده هنا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه حيث قال : (وتأويلاتهم تبين لمن تدبرها أنها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه، كتأويلهم قوله:﴿ لِّيَغۡفِرَ

---

(١) – انظر: بحر العلوم (٣٠٨/٣)، معالم التنزيل (٢٢٣/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٤٤/٦).

(٢) – انظر: بحر العلوم (٣٠٨/٣)، النكت والعيون (٣١٠/٩)، مفاتيح الغيب (٦٦/٢٨)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٣٤/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٤٤/٦) .

(٣) – انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦).

(٤) – انظر : النكت والعيون (٣١٠/٩) ، مفاتيح الغيب (٦٦/٢٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٤٤/٦).

(٥) – انظر : النكت والعيون (٣١٠/٩) .

(٦) – انظر : النكت والعيون (٣١٠/٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦).

(٧) – انظر: معالم التنزيل (٢٢٣/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦).

(٨) – انظر: معالم التنزيل (٢٢٣/٤)، مفاتيح الغيب (٦٦/٢٨) .

(٩) – انظر: معالم التنزيل (٢٢٣/٤)، زاد المسير (١٢٧/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٣٤/٤)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٤٤/٦) .

(١٠) – انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦).

لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ المتقدم ذنب آدم والمتأخر ذنب أمته، وهذا معلوم البطلان، ويدل على ذلك وجوه:

أحدها: أن آدم قد تاب الله عليه قبل أن ينزل إلى الأرض فضلا عن عام الحديبية الذي أنزل الله فيه هذه السورة، قال تعالى:﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[سورة طه: ١٢١-١٢٢]، وقال: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٧] ذكر أنه قال:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف: ٢٣] .

والثاني: أن يقال: فآدم عندكم من جملة موارد النزاع ولا يحتاج أن يغفر له ذنبه عند المنازع فإنه نبي أيضا، ومن قال: إنه لم يصدر من الأنبياء ذنب يقول ذلك عن آدم ومحمد وغيرهما.

الوجه الثالث: أن الله لا يجعل الذنب ذنبا لمن لم يفعله فإنه هو القائل:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾[الأنعام: ١٦٤] . فمن الممتنع أن يضاف إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – ذنب آدم – صلى الله عليه وسلم – أو أمته أو غيرهما، وقد قال تعالى:﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡ ﴾[النور: ٥٤]، وقال تعالى:﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ ﴾[سورة النساء: ٨٤] ولو جاز هذا لجاز أن يضاف إلى محمد ذنوب الأنبياء كلهم.

ويقال: إن قوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾المراد ذنوب الأنبياء وأممهم قبلك، فإنه يوم القيامة يشفع للخلائق كلهم، وهو سيد ولد آدم... وحينئذ فلا يختص آدم بإضافة ذنبه إلى محمد، بل تجعل ذنوب الأولين والآخرين على قول هؤلاء ذنوبا له، فإن قال: إن الله لم يغفر ذنوب جميع الأمم، قيل: وهو أيضا لم يغفر ذنوب جميع أمته.

الوجه الرابع: أنه قد ميز بين ذنبه وذنوب المؤمنين بقوله:﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[محمد: ١٩] فكيف يكون ذنب المؤمنين ذنبا له.

الوجه الخامس: أنه ثبت في الصحيح[(١)]: أن هذه الآية لما نزلت قال الصحابة يا رسول الله، هذا لك فما لنا فأنزل الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾[الفتح: ٤] فدل ذلك على أن الرسول والمؤمنين علموا أن قوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مختص به دون أمته.

(١) – صحيح البخاري (١٢٥/٥)، كتاب : المغازي، باب : غزوة الحديبية، حديث رقم (٤١٧٢).

الوجه السادس: أن الله لم يغفر ذنوب جميع أمته بل قد ثبت أن من أمته من يعاقب بذنوبه إما في الدنيا وإما في الآخرة، وهذا مما تواتر به النقل، وأخبر به الصادق المصدوق واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وشوهد في الدنيا من ذلك ما لا يحصيه إلا الله، وقد قال الله تعالى:﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء: ١٢٣] والاستغفار والتوبة قد يكونان من ترك الأفضل. فمن نقل إلى حال أفضل مما كان عليه قد يتوب من الحال الأول، لكن الذم والوعيد لا يكون إلا على ذنب) [١] .

وقال أيضا رحمه الله (وفي هذا رد على الطائفة الذين يقولون: معنى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ هو ذنب آدم ﴿وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ هو ذنب أمته، فإن هذا القول وإن لم يقله أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فقد قاله طائفة من المتأخرين. ويظن بعض الجهال أنه قول شريف، وهو كذب على الله وتخريف، فإنه قد ثبت أن الناس يوم القيامة يأتون آدم فيعتذر إليهم ويذكر خطيئته. فلو كان ما تقدم هو ذنب آدم لم يكن يعتذر ... وأي فرق بين ذنب آدم ونوح وإبراهيم وكلهم آباؤه؟ وقد قال في غير موضع: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور :٥٤] فكيف يكون ذنب أمته ذنبا له؟ هذا لا يخفى فساده على من له أدنى تدبر) [٢] .

وقوله تعالى:﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾أي يتمها بالنبوة والحكمة وبإظهاره إياك على عدوك، ورفعه ذكرك في الدنيا، وغفرانه ذنوبك في الآخرة، وقيل بالجنة، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر، وقيل : بخضوع من استكبر، وطاعة من تجبر[٣].

﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه، يستقيم بك إلى رضا ربك، ويثبتك على الهدى، وهو الإسلام طريق الأنبياء، وقيل: و"يهديك" أي يهدي

---

(١) – الفتاوى الكبرى (٥/٢٧٢) .

(٢) – المستدرك على مجموع الفتاوى (١/٢٠٥).

(٣) – انظر : جامع البيان (٢٢/١٩٧)، بحر العلوم (٣/٣٠٨)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/٦٩٣٨)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/١٣٤)، تفسير السمعاني (٥/١٩٠)، النكت والعيون (٩/٣١٠)، معالم التنزيل (٤/٢٢٣)، زاد المسير (٤/١٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٦٢) ، تيسير الكريم المنان (١/٧٩١) .

بك، وقيل : أي: بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم الذي تنال به السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(وهذه الهداية الخاصة التي أعطاه إياها بعد فتح الحديبية أخص مما تقدم فإن السالك إلى الله لا يزال يتقرب إليه بشيء بعد شيء، ويزيده الله هدى بعد هدى، وأقوم الطريق وأكملها الطريق التي بعث الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء: ٩])[2].

وقال أيضا رحمه الله : (والصراط المستقيم قد فسر بالقرآن والإسلام وطريق العبودية وكل هذا حق فهو موصوف بهذا وبغيره) [3] .

وقال سبحانه وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[الصف: ١١] .

أمر الله عباده قبل هذه الآية بالتجارة الرابحة، وبينها لهم بقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الصف: ١١]، وقوله تعالى: تُؤْمِنُونَ لفظه الخبر ومعناه الأمر أي آمنوا، وبين لهم في هذه الآية جزاء الإيمان بذلك .

وأنه إن فعلوا ما أمرهم به تحقق لهم ما وعدهم في هذه الآية، والمراد بقوله يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخير، والمعنى: يستر عليكم ربكم ذنوبكم ويصفح عنكم ويعفو ،وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب.

(١) – انظر : جامع البيان (١٩٧/٢٢)، بحر العلوم (٣٠٨/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٩٣٨/١١)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٣٤/٤)، معالم التنزيل (٢٢٣/٤)، زاد المسير (١٢٧/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦)،. تفسير القرآن العظيم (٣٢٨/٧)، تيسير الكريم المنان (٧٩١/١).

(٢) – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٨١/٣).

(٣) – جامع الرسائل (١٠٠/١).

الفصل الثاني: التحلية : وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: إتمام النعمة

النعمة : المسرة، والحبرة، والمنة، وهي ضد البؤس .

قال الخليل رحمه الله : (النِّعْمةُ: اليد الصّالحة... والنّعمة: المسرّة [١] والحَبْرَةُ: النِّعْمة، وقولُه تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الروم:١٥] أي: يُنَعَّمُون)[٢] .

وفي جمهرة اللغة : (النعمة، بكسر النون: ما أنعم الله به على عباده من مال أو رزق، والنعمة: ما يتنعم به الإنسان من مأكل أو مشرب أو ملبس)[٣] .

وفي تهذيب اللغة : (نعمة العيش: حسنه وغضارته ...ونعمة الله: منه وعطاؤه بكسر النون، وقال الله جل وعز:﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ﴾[لقمان:٢٠]...وأنعم: أفضل وزاد) [٤] .

وفي لسان العرب : (النعيم والنعمى والنعماء والنعمة، كله: الخفض والدعة والمال، وهو ضد البأساء والبؤسى)[٥] .

وقال الراغب رحمه الله : (النعمة: الحالة الحسنة...والنعمة: التنعم، قال تعالى:" وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوهَا"[سورة النحل:١٨]،﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة:٤٠]، ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[المائدة: ٣]، إلى غير ذلك من الآيات، والإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير، قال تعالى:﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة:٧]، ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾[الأحزاب:٣٧] والنعماء بإزاء الضراء.)[٦].

قال الله عز وجل في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[الفتح:٢] .

مر الحديث عن هذه الآية الكريمة في المبحث فلا نطيل بإعادته هنا بل نكتفى بذلك .

وقال الله عز وجل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا

---

(١) – كتاب العين (١٦١/٢) .
(٢) – كتاب العين (٢١٨/٣) .
(٣) – جمهرة اللغة (٩٥٣/٢).
(٤) – تهذيب اللغة (٩/٣).
(٥) – لسان العرب (٥٧٩/١٢).
(٦) – المفردات (٨١٤/١).

ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾المائدة:٣.

ذكر الله تعالى ما حرمه على الأمة من الأطعمة، على وجه التفصيل، ثم حذر من خشية الكفار وأمر بخشيته وحده، ثم أخبر عن إكمال دينه وإتمام نعمه، وتيسيره على خلقه ورفعه الحرج، وجواز أكل الميتة للمضطر، فقال﴿ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾أي: وأتممت منتي أيها المؤمنون، بإكمال دينكم وإظهاركم على عدوِّي وعدوكم من المشركين، ونفيِي إياهم عن بلادكم، وقطعي طمعهم من رجوعكم وعودكم إلى ما كنتم عليه من الشرك، ولم يحج معكم مشرك، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: النعمة لا تكون إلا بعد دخول الجنة، فصار كأنه قال: رضيت لكم الجنة لأنه لا تكون النعمة تماما حتى يضع قدميه فيها، فإتمام النعمة هو في ظهور الإسلام ونور العقائد، وإكمال الدين، وسعة الأحوال، وغير ذلك مما انتظمته هذه الملة الحنيفية إلى دخول الجنة والخلود في رحمة الله هذه كلها نعم الله المتممة قبلنا [(١)].

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾يعني بذلك اخترت لكم الإسلام دينا، ورضيت لكم الاستسلام لأمري، والانقياد لطاعتي، على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه، فالزموه ولا تفارقوه.

ونزلت هذه الآية عرفة يوم جمعة، في حجة الوداع[(٢)].

﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ ﴾أي: فمن أصابه ضُرٌّ " في مخمصة"، يعني: دعته الضرورة في مجاعة، من"خَمَصِ البطنِ"، وهو شدة ضمور البطن من الجوع وشدة السَّغَب[(٣)].

﴿ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ ﴾يعني بذلك جل ثناؤه: فمن اضطر في مخمصة إلى أكل ما حَرَّمتُ عليه منكم، أيها المؤمنون، من الميتة، والدم ولحم الخنزير وسائر ما حرمت عليه بهذه الآية غير مائل ولا متحرف إلى أكلها، أي: غير متعمد المعصية لأكله فوق الشبع.

(١) – انظر: جامع البيان (٥٢١/٩)، بحر العلوم (١/ ٣٦٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٥٩٢/٣)، النكت والعيون (١٣/٢)، المحرر الوجيز (١٥٥/٢) .
(٢) – انظر: جامع البيان (٥٢٢/٩)، بحر العلوم (٣٦٩/١) .
(٣) – انظر: جامع البيان (٥٣٢/٩)، معاني القرآن وإعرابه (١٤٨/٢)، بحر العلوم (٣٦٩/١) .

وأصل الجنف الميل، والمراد: غير متجاوز للحد، وغير آكل لها على وجه التلذذ فلا إثم عليه في أكله [١].

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾في هذا الكلام متروك، اكتفى بدلالة ما ذكر عليه منه، وذلك أن معنى الكلام: فمن اضطر في مخمصة إلى ما حرمت عليه مما ذكرت في هذه الآية، غير متجانف لإثم فأكله فإن الله غفور رحيم فترك ذكر"فأكله"، " غفور" لمن أكل بعفوه عن مؤاخذته إياه، وصفحه عنه وعن عقوبته عليه، "رحيم" حين رخص له في أكله عند الاضطرار، ومن رحمته ورفقه به أباح له أكل الميتة وسائر ما ذكر معها في هذه الآية، في حال خوفه على نفسه من كَلَب الجوع وضُرِّ الحاجة العارضة ببدنه[٢].

المبحث الثاني : الهداية للصراط المستقيم

المراد بالهداية : نقيضُ الضَّلالة[٣]، والهُدَى :الطَّاعَة والوَرَع، وهداه يَهْدِيه فِي الدّين هُدًى، وهَداه يَهْدِيه هِدَايةً، إِذا دَلَّه على الطَّرِيق [٤].

قال الجوهري رحمه الله :(الهُدى: الرشادُ والدلالةُ، يؤنَّث ويذكَّر. يقال: هَداهُ الله للدين هدى. وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾[طه :١٢٨]، أولم يبين لهم، وهَدَيْتُهُ الطريق والبيت هِدايَةً، أي عرفته)[٥].

قال ابن فارس رحمه الله : (الْهُدَى: خِلَافُ الضَّلَالَةِ. تَقُولُ: هَدَيْتُهُ هُدًى) [٦].

وقال الراغب رحمه الله : (الهداية دلالة بلطف، ومنه: الهديّة، وهوادي الوحش، أي: متقدماتها الهادية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأوّل: الهداية التي عمّ بجنسها كلَّ مكلَّف من العقل، والفطنة، والمعارف الضروريّة التي أعمّ منها كلّ شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال:﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾طه : ٥٠.

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ الأنبياء :٧٣.

---

(١) – انظر: جامع البيان (٥٣٥/٩)، معاني القرآن وإعرابه (١٤٨/٢)، بحر العلوم (٣٦٩/١).

(٢) – انظر: جامع البيان (٥٣٧/٩)، معاني القرآن وإعرابه (١٤٨/٢).

(٣) – كتاب العين (٤/ ٧٧) .

(٤) – تهذيب اللغة (٢٠١/٦) .

(٥) – الصحاح (٢٥٣٣/٦) .

(٦) – معجم مقاييس اللغة (٦/ ٤٢) .

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[الأنبياء :٧٣].

الثالث: التّوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعني بقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾[محمد:١٧]، وقوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[التغابن :١١]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾[يونس :٩]، وقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت: ٦٩]، ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦]،﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[البقرة :٢١٣]،﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة :٢١٣].

الرّابع: الهداية في الآخرة إلى الجنّة المعنيّ بقوله: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[محمد: ٥]، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[الأعراف: ٤٣])[(١)].

قال الله سبحانه وتعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[الفتح :٢].

مر معنا بيان معنى الآية الكريمة، بما يغنى عن إعادته هنا، وهذه الآية اشتملت على ثلاثة أوصاف وصف بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الوعد بغفران الذنب، وإتمام النعمة عليه، والهداية للصراط المستقيم فتكرر ذكرها .

وقال سبحانه وتعالى في حق أمة محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الحج:٥٤] .

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل، المؤمنون بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، الذين أكرموا بالتوحيد والقرآن[(٢)]، وقيل هم أصحاب محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام[(٣)]، ويقال: هم من آمن من أهل الكتاب[(٤)] .

---

(١) – المفردات (١/ ٨٣٥) .

(٢) – انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٧٠)، بحر العلوم (٤٦٤/٢)، الكشف والبيان (٢٨/٧)، تفسير السمعاني (٤٥٠/٣)، معالم التنزيل (٣٤٨/٣)، زاد المسير (٢٤٣/٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٦)، تفسير القرآن العظيم (٤٤١/٥).

(٣) – المحرر الوجيز (١٢٧/٤) .

(٤) – انظر: بحر العلوم (٤٦٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٦) .

﴿ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ ﴾ أن الذي أنزله الله تعالى من آياته التي أحكمها لرسوله صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد فيصدقوا به، ويثبتوا به على إيمانهم، ويعتقدون أنه من الله تعالى(١).

قال السعدي رحمه الله :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيم، يقيض بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائن النفوس الخيرة والشريرة، ﴿ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ ﴾ بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفع المعارض والشبه) (٢).

﴿ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ فتخضع للقرآن وتخلص له قلوبهم، وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه، فتسكن إليه قلوبهم وتطمئن، وتتطامن، وتذل وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم(٣).

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي : أن الله سبحانه وتعالى مرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق الواضح والطريق القويم وهو الإسلام، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله صلى الله عليه وسلم، فيثبتهم على الهداية فلا يضرهم كيد الشيطان، وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم(٤)، ويهديهم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى درجات الجنات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات(٥).

---

(١) – انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٧٠)، بحر العلوم (٤٦٤/٢)، الكشف والبيان (٢٨/٧)، تفسير السمعاني (٤٥٠/٣)، معالم التنزيل (٣٤٨/٣)، المحرر الوجيز (١٢٧/٤)، تفسير القرآن العظيم (٤٤١/٥).

(٢) – تيسير الكريم الرحمن (٥٤٢/١) .

(٣) – انظر : جامع البيان (١٨/ ٦٧٠)، بحر العلوم (٤٦٤/٢)، تفسير السمعاني (٤٥٠/٣)، معالم التنزيل (٣٤٨/٣)، المحرر الوجيز (١٢٧/٤)، زاد المسير (٢٤٣/٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٦)، تفسير القرآن العظيم (٤٤١/٥)، تيسير الكريم الرحمن (٥٤٢/١).

(٤) – انظر : جامع البيان (١٨/ ٦٧٠)، بحر العلوم (٤٦٤/٢)، تفسير السمعاني (٤٥٠/٣)، معالم التنزيل (٣٤٨/٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٦)، تفسير القرآن العظيم (٤٤١/٥).

(٥) – انظر : تفسير القرآن العظيم (٤٤١/٥) .

المبحث الثالث : الوعد بالنصر

قـــــــــال الله عز وجل في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[الفتح:٣] .

هذه الآية الكريمة متممة لنعم كثيرة أعطاها الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه حيث قال قبل هذه الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾[الفتح:١-٢] ثم عطف هذه الآية عليها فقال سبحانه: "وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا" والمعنى : وينصرك على سائر أعدائك، ومن ناوأك نصرا، لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، للبأس الذي يؤيدك الله تعالى به، وبالظفر الذي يمدك به[١]،نصرا ذا عز لا يقع معه ذل، فيه عز ومنعة، قويا لاذل بعده أبدا تكون غالبا لا يغلبك أحد، ويقال: معزا لك ولمن آمن بك[٢] يذل بِهِ أعداءك[٣].

قال الماوردي رحمه الله : (يحتمل وجهين: أحدهما: أنه الأسر والغنيمة كما كان يوم بدر. الثاني: أنه الظفر والإسلام وفتح مكة)[٤].

وقيل عزيزا صاحبه[٥]، أو يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة[٦].

قال ابن عطية رحمه الله :(والنصر العزيز: هو الذي معه غلبة العدو والظهور عليه، والنصر غير العزيز: هو الذي مضمنه الحماية ودفع العدو فقط)[٧].

قال الرازي رحمه الله: (وينصرك الله نصرا عزيزا ظاهر، لأن بالفتح ظهر النصر واشتهر الأمر، ووصف النصر بكونه عزيزا، والعزيز من له النصر، والجواب: من وجهين:**أحدهما:** أنه يحتمل وجوها ثلاثة الأول: معناه نصر ذا عز، كقوله:﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[الحاقة:٢١] أي ذات رضى، الثاني: وصف النصر بما يوصف به المنصور إسنادا مجازيا يقال له كلام صادق، كما يقال له متكلم صادق الثالث: المراد نصرا عزيزا صاحبه.

---

(١) – انظر: جامع البيان (٢٠٣/٢٢)، معاني القرآن وإعرابه (٢٠/٥)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٣٤/٤)، معالم التنزيل (٢٢٣/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١٦)، مدارك التنزيل (٣٣٤/٣)، فتح القدير(٥٤/٥).

(٢) – انظر: لطائف الإشارات (٤١٩/٣)، الكشف والبيان (٤٣/٩) .

(٣) – تفسير القرآن العزيز (٢٥٠/٤) .

(٤) – النكت والعيون (٣١٠/٥) .

(٥) – الكشاف (٣٣٣/٤) .

(٦) – أنوار التنزيل (١٢٦/٥) .

(٧) – المحرر الوجيز (١٢٦/٥) .

الوجه الثاني : إنما يلزمنا ما ذكر من التقديرات إذا قلنا: العزة من الغلبة، والعزيز الغالب، وأما إذا قلنا: العزيز هو النفيس القليل النظير، أو المحتاج إليه القليل الوجود، يقال عز الشيء إذا قل وجوده مع أنه محتاج إليه، فالنصر كان محتاجا إليه ومثله لم يوجد وهو أخذ بيت الله من الكفار المتمكنين فيه من غير عدد.

والله تعالى لما قال: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾أبرز الفاعل وهو الله، ثم عطف عليه بقوله: ﴿ وَيُتِمَّ ﴾، وبقوله:﴿ وَيَهْدِيَكَ ﴾ولم يذكر لفظ الله، وهاهنا لم يقل وينصرك نصرا، بل أعاد لفظ الله، فنقول هذا إرشاد إلى طريق النصر، ولهذا قلما ذكر الله النصر من غير إضافة، فقال تعالى: ﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ ﴾[الروم: ٥]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ ﴾[سورة الأنفال: ٦٢]، وقال:﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾[النصر: ١]، وقال:﴿ نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ ﴾[الصف: ١٣]، وقال:﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١٢٦] وتحقيقه أن النصر بالصبر، والصبر بالله، قال تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[النحل: ١٢٧] وذلك لأن الصبر سكون القلب واطمئنانه، وذلك بذكر الله، كما قال تعالى:﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨] فلما قال هاهنا وينصرك الله، أظهر لفظ الله ذكرا للتعليم أن بذكر الله يحصل اطمئنان القلوب، وبه يحصل الصبر، وبه يتحقق النصر)[(١)].

وقال الله سبحانه وتعالى في حق أمة محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] .

في هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما لقي من أذى قومه، إذ أعمله الله جل جلاله أنه قد أرْسَل من قبله رسلاً إلى قومهم الكفرة، كما أرسله إلى قومه عابدي الأوثان، وأن الرسل قبله نالهم من قومهم أذى كما لقي هو عليه الصلاة والسلام من قومه، وأعلمه سبحانه وتعالى سنته في الرسل وفي قومهم، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم، وفي أممهم[(٢)].

(١) – انظر: مفاتيح الغيب (٦٦/٢٨)، لباب التأويل (١٥٣/٤) .

(٢) – انظر: جامع البيان (١١٣/٢٠)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٦٩٨/٩)، المحرر الوجيز (٣٤١/٤) .

قال الرازي رحمه الله : (إرسالهم دليل رسالتك فإنهم لم يكن لهم شغل غير شغلك، ولم يظهر عليهم غير ما ظهر عليك، ومن كذبهم أصابهم البوار، ومن آمن بهم كان لهم الانتصار .

وله وجه آخر يبين تعلق الآية بما قبلها وهو أن الله لما بين البراهين ولم ينتفع بها الكفار سلى قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: حال من تقدمك كان كذلك، وجاءوا أيضا بالبينات، وكان في قومهم كافر ومؤمن كما في قومك فانتقمنا من الكافرين ونصرنا المؤمنين) (١) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :(هذه تسلية من الله لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس، فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم) (٢) .

﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾أي جاءت الرسل قومهم بالدلالات الواضحات، والحجج الظاهرات على صدقهم فكذبوهم، كما جئت أنت يا محمد عليك الصلاة والسلام قومك بالبينات فكذّبك قومك، وردوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله، كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك (٣) .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾أي أجرموا بالآثام واكتسبوا السيئات، وفي الكلام حذف، والتقدير: فكذبوا الرسل فانتقمنا من المكذبين، فكذلك نفعل بمجرمي قومك يا محمد في تكذيبهم إياك(٤).

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾أي: ونجَّينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، إذ جاءهم بأسنا، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾على الكافرين، فنحن ناصروك ومن آمن بك من قومك على مَن كفر بك، ومظفروك على من عاداك وناواك، ومنجوك ومن آمن بك إذا جاء بأسنا.

---

(١) – مفاتيح الغيب (١٠٨/٢٥) .

(٢) – تفسير القرآن العظيم (٣٢١/٦) .

(٣) – انظر: جامع البيان (١١٣/٢٠)، بحر العلوم (١٦/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٦٩٨/٩)، تفسير السمعاني (٢١٩/٤) .

(٤) – انظر :جامع البيان (١١٣/٢٠)، بحر العلوم (١٦/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٦٩٨/٩)، لطائف الإشارات (١٢٣/٣)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٣٦/٣)، تفسير السمعاني (٢١٩/٤) .

ونصر المؤمنين إنجاؤهم مع الرسل من عذاب الأمم، وفي هذا تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على من كذبه [1].

قال الحافظ ابن كثير : (﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾هو حق أوجبه على نفسه الكريمة، تكرما وتفضلا، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]) [2].

المبحث الرابع : التثبيت

قال الله سبحانه وتعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾]الإسراء: ٧٤] .

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ ولولا أن عصمناك من موافقتهم وحفظناك، يا محمد عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة، فثبتناك على الحق بعوننا، و ﴿ وَلَوْلَآ ﴾ تدل على امتناع الشيء لوجود غيره، فالممتنع في الآية إرادة الركون لوجود تثبيت الله إياه، هذا هو الظاهر في الآية[3] .

﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ أي: هممت وقاربت أن تميل إلى مرادهم، ركونا قليلا، وتعطي أمنيتهم، وتطمئن شيئا قليلا، وذلك من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم همّ به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد حيث سكت عن جوابهم [4].

(وقال ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوما، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شي من أحكام الله تعالى وشرائعه) [5] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن تأييد رسوله، صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره

---

(١) – انظر : جامع البيان (١١٣/٢٠)، الكشف والبيان (٣٠٥/٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٦٩٨/٩)، النكت والعيون (٤٢٠/٤)، لطائف الإشارات (١٢٣/٣)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٣٦/٣)، تفسير السمعاني (٢١٩/٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٦٩٨/٩)، معالم التفسير (٥٨١/٣).

(٢) – تفسير القرآن العظيم (٣٢١/٦) .

(٣) – انظر: جامع البيان (٥٠٨/١٧)، بحر العلوم (٣٢٣/٢)، الكشف والبيان (١١٨/٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٢٥٨/٦)، غرائب التفسير وعجائب التأويل (٦٣٧/١)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٠/١٠) .

(٤) – انظر: جامع البيان (٥٠٨/١٧)، بحر العلوم (٣٢٣/٢)، الكشف والبيان (١١٨/٦)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٢٠/٣)، تفسير السمعاني (٢٦٥/٣)، زاد المسير (٤٣/٣) .

(٥) – الجامع لأحكام القرآن (٣٠٠/١٠) .

ومؤيده ومظفره، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه، في مشارق الأرض ومغاربها، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين) [1].

فإن قيل: النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من الشرك والكبائر، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه منه؛ والذي طلبوه منه كفر؟ فالجواب عنه من وجهين :

أحدهما: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس .

الثاني: أن الله تعالى قال:﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ وقد ثبته الله فلم يركن إليهم، وهذا مثل قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[النساء: ٨٣]، وقد تفضل فلم يتبعوا[2] .

قال ابن عطية رحمه الله : (الآية تعديد نعمه على النبي صلى الله عليه وسلم... ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يركن، لكنه كاد بحسب همه بموافقتهم طمعا منه في استئلافهم ... وهذا الهم من النبي عليه السلام إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه، و...﴿كِدتَّ﴾ تعطي أنه لم يقع ركون ...وهذا الهم هو كهم يوسف عليه السلام، والقول فيهما واحد) [3].

وقد احتج بهذه الآية الطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقالوا: هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه:

الأول: أن الآية دلت على أنه عليه الصلاة والسلام قرب من أن يفتري على الله، والفرية على الله تعالى من أعظم الذنوب.

والثاني: أنها تدل على أنه لولا أن الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من أن يركن إلى دينهم ويميل إلى مذهبهم.

والثالث: أن هذا الوعيد الشديد دليل على سبق جرم وجناية.

والجواب عن الأول: أن "كاد" معناه المقاربة فكان معنى الآية: أنه قرب وقوعه في الفتنة، وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة، فإنا إذا قلنا :كاد الأمير أن يضرب فلانا لا يفهم منه أنه ضربه.

والجواب عن الثاني: أن كلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره، تقول لولا علي لهلك عمر، معناه أن وجود علي منع من حصول الهلاك لعمر، فكذلك هاهنا فقوله: ﴿ وَلَوْلَآ

(١) – تفسير القرآن العظيم (١٠٠/٥).

(٢) – انظر : تفسير السمعاني (٢٦٥/٣)، معالم التفسير (١٤٧/٣) .

(٣) – المحرر الوجيز (٤٧٥/٣) .

أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾ معناه أنه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول ذلك التثبيت مانعا من حصول ذلك الركون.

والجواب عن الثالث: أن ذلك التهديد على المعصية لا يدل على الإقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[سورة الحاقة: ٤٤- ٤٦] ومنها قوله:﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[الزمر: ٦٥] ومنها قوله:﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[الأحزاب:١]. والله أعلم.

وقال الله عز وجل في حق أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[إبراهيم:٢٧].

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي : يحقق الله أعمالَهم وإيمانهم لأنه هو المثبت للإيمان في قلوب المؤمنين، وقيل يزيدهم الله أدلة على القول الثابت، وقيل :يديمهم الله على القول الثابت [١] .

﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ أي بالقول الحق، وهو كلمة التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله،، وهذه الآية تعم العالم من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة [٢].

وقيل: (العمل الصالح، وقيل القرآن)[٣]

﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ اختلفُوا فيه فقيل:

- المراد في الحياة الدنيا : أي في القبور قبل قيام الساعة، وفي الآخرة عند البعث .

- قال آخرون: المراد بذلك يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا قبل الموت، وفي الآخرة المسألةُ في القبر، وهو اختيار الطبري رحمه الله، وعليه أكثر أهل التفسير [٤].

ويشهد له حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله "، فذلك

---

(١) – انظر : جامع البيان (٥٨٩/١٦)، النكت والعيون (١٣٥/٣)، تفسير السمعاني (١١٥/٣) .

(٢) – انظر : جامع البيان (٥٨٩/١٦)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣٠/٣)، تفسير السمعاني (١١٥/٣)، معالم التنزيل (٣٨/٣)، المحرر الوجيز(٣٣٧/٣)

(٣) – انظر: النكت والعيون (١٣٥/٣) .

(٤) – انظر : جامع البيان (٥٨٩/١٦)، معاني القرآن وإعرابه (١٦٢/٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٤٤/٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٨١١/٥)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣٠/٣)، تفسير السمعاني (١١٥/٣)، معالم التنزيل (٣٨/٣)، المحرر الوجيز(٣٣٧/٣)، زاد المسير (٥١٣/٢)، تفسير القرآن العظيم (٤٩٤/٤) .

قوله:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾(١) .

– وقيل يموت مع الإيمان ويبعث على الإيمان يوم القيامة.(٢).

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي : أن الله لا يوفِّق المنافق والكافر لما هدي له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة عند المُسَاءَلة في القبر، فيضلهم عن الحجة، فلا يقولونها في القبر، حتى إذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري(٣) .

﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ أي: وبيدِ الله سبحانه وتعالى الهداية والإضلال، فلا تتكروا، أيها الناس، قدرتَه، ولا اهتداءَ من كان منكم ضالا ولا ضلالَ من كان منكم مهتديًا، فإنّ بيده تصريفَ خلقه وتقليبَ قلوبهم، يفعل فيهم ما يشاء.من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت(٤).

المبحث الخامس: الترضية

قال الله سبحانه وتعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[الضحى: ٥].

هذه اللام قيل: هي لام الابتداء دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره: ولأنت سوف يعطيك، وقيل: هي للقسم، فكأنه قال: وليعطينك، والمعنى : ولسوف يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نعمه، حتى يرضيك في أمتك، وفيما أعده لك من الكرامة (٥) .

وقد اختلف أهل العلم في الذي وعد الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام من العطاء:

فقيل : ألف قصر في الجنة، في كل قصر، ما ينبغي من الأزواج والخدم(٦) .

---

(١) – رواه البخاري في صحيحه (٨٠/٦)، كتاب التفسير، باب : {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت} [إبراهيم: ٢٧]، حديث رقم (٤٦٩٩)، ورواه مسلم في صحيحه (٢٢٠١/٤)، كتاب:صفة القيامة والجنة والنار، باب:عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، حديث رقم (٢٨٧١) .

(٢) – بحر العلوم (٢٤٢/٢)، الجامع الأحكام القرآن (٣٦٣/٩) .

(٣) – انظر : جامع البيان (٥٨٩/١٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٨١١/٥)، بحر العلوم (٢٤٢/٢)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣١/٣)، معالم التنزيل (٤١/٣)، زاد المسير (٥١٣/٢) . .

(٤) – انظر : جامع البيان (٥٨٩/١٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٨١١/٥)، بحر العلوم (٢٤٢/٢)، معالم التنزيل (٤١/٣)، زاد المسير (٥١٣/٢) .

(٥) – انظر: جامع البيان (٤٨٧/٢٤)، المحرر الوجيز (٤٩٤/٥)، زاد المسير (٤٥٧/٤)، تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٨)، فتح القدير (٥٥٨/٥) .

(٦) – انظر: جامع البيان (٤٨٧/٢٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨٣٢٤/١٢)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٥٠٩/٤)، تفسير السمعاني (٢٤٤/٦)، المحرر الوجيز (٤٩٤/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٩٥/٢٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٩٠/٢)، تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٨)، فتح القدير (٥٥٨/٥).

وقيل : ألا يدخل أحد من أهل بيته النار[١].

وقيل : ثواب طاعتك [٢].

وقيل : الحوض، والشفاعة [٣].

وقيل: من النصر والتمكن وكثرة المؤمنين [٤].

وقيل : يعطيك المنزلة في الآخرة، وما يرضيك من الكرامة [٥] .

وقيل : فتح مكة وغيرها في الدنيا، والثواب في الآخرة [٦].

واعلم أنه تعالى لما بين أن الآخرة: خير له من الأولى، بين بهذه الآية مقدار ذلك التفاوت، وهو أنه ينتهي إلى غاية ما يتمناه الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتضيه[٧].

قال ابن جزي رحمه الله: (والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك) [٨] .

وحمل الآية على ظاهرها من خيري الدنيا والآخرة معا أولى، وذلك أن الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع، والفتوح في زمنه، وبعده إلى يوم القيامة، وأعلى دينه، وإن أمته خير الأمم، وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة، والخاصة، والمقام المحمود وغير ذلك، مما أعطاه في الدنيا والآخرة [٩] .

قال الشوكاني رحمه الله: (والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والآخرة، ومن أهم ذلك عنده وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمته) [١٠].

وقال سبحانه وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[الحج:٥٩] .

---

(١) – انظر: جامع البيان (٤٨٧/٢٤)، الكشف والبيان (٢٢٤/١٠)، المحرر الوجيز (٤٩٤/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٩٥/٢٠)، تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٨).

(٢) – انظر: بحر العلوم (٥٩٢/٣)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٥٠٩/٤)، الكشف والبيان (٢٢٤/١٠)، معالم التنزيل (٢٦٧/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٩٥/٢٠)، لباب التأويل (٤٣٨/٤) .

(٣) – انظر :بحر العلوم (٥٩٢/٣)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٥٠٩/٤)، الكشف والبيان (٢٢٤/١٠)، تفسير السمعاني (٢٤٤/٦)، معالم التنزيل (٢٦٧/٥)، زاد المسير (٤٥٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٩٥/٢٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٩٠/٢)، لباب التأويل (٤٣٨/٤)، تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٨)، فتح القدير (٥٥٨/٥) .

(٤) – انظر : الكشف والبيان (٢٢٤/١٠)، النكت والعيون (٢٩٣/٦)، معالم التنزيل (٢٦٧/٥)، لباب التأويل (٤٣٨/٤) .

(٥) – النكت والعيون (٢٩٣/٦) .

(٦) – انظر: المحرر الوجيز (٤٩٤/٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٩٠/٢)، فتح القدير (٥٥٨/٥) .

(٧) – انظر: مفاتيح الغيب (١٩٤/٣١) .

(٨) – التسهيل لعلوم التنزيل (٤٩٠/٢) .

(٩) – انظر: لباب التأويل (٤٣٨/٤) .

(١٠) – فتح القدير (٥٥٨/٥) .

﴿ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾] المعنى: ليدخلنّ الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم"مُدْخَلا يَرْضَوْنَهُ "﴿مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥ﴾] وذلك المُدخل هو الجنة، لأن لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، فالمراد به إدخالا يكرمون به فيرضونه [1] .

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ ﴾] بنية من يهاجر في سبيله، ممن يخرج من داره طلبا للغنيمة أو لعرض من عروض الدنيا [2].

﴿ حَلِيمٞ ﴾] عن عصاة خلقه، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب، بل يمهل لتقع منهم التوبة [3].

قال الرازي رحمه الله : (قال يرضونه، لأنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيرضونه ولا يبغون عنها حولا، ونظيره قوله تعالى:﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾[التوبة: ٢٤] وقوله:﴿ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ [الحاقة: ٢١] وقوله: ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾[الفجر : ٢٨] وقوله:﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾[التوبة: ٧٢])[4].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (﴿ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ أي: بمن يهاجر ويجاهد في سبيله، وبمن يستحق ذلك، ﴿ حَلِيمٞ ﴾ أي: يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه، فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حي عند ربه يرزق، كما قال تعالى:﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾[آل عمران: ١٦٩]، والأحاديث في هذا كثيرة)[5] .

المبحث السادس:الأجر المتتابع

قال الله سبحانه وتعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴾[القلم:٣] .

---

(١) – انظر: جامع البيان (٦٧٤/١٨)، بحر العلوم (٤٦٧/٢)، الهداية إلى غاية النهاية (٤٩٢٣/٧)، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/١٢)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٧٨/٣)، معالم التنزيل (٣٤٩/٣)، زاد المسير (٢٤٧/٣) .

(٢) – انظر: جامع البيان (٦٧٤/١٨)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٧٨/٣)، معالم التنزيل (٣٤٩/٣)، زاد المسير (٢٤٧/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/١٢) .

(٣) – انظر: جامع البيان (٦٧٤/١٨)، بحر العلوم (٤٦٧/٢)، الهداية إلى غاية النهاية (٤٩٢٣/٧)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٧٨/٣)، زاد المسير (٢٤٧/٣)، مفاتيح الغيب (٢٤٤/٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/١٢).

(٤) – مفاتيح الغيب (٢٤٤/٢٣).

(٥) – تفسير القرآن العظيم (٤٤٧/٥).

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أي: عظيمًا، كما يفيده التنكير، والمعنى: إن لك يا محمد لثوابا من الله عظيما على صبرك على أذى المشركين إياك وما تحملت من أثقال النبوة غير منقوص ولا مقطوع، من قولهم: حبل منين، إذا كان ضعيفا، غير متين، يقال في الكلام: مننت الحبل، أي: قطعته وقد ضعفت منَّته: إذا ضعفت قوّته، ومنه سمي الموت: منونا لأنه ينقص الأعمار، ويقطع الأعذار: ومن هذا الباب المنة المذمومة، لأن ينقص النعمة، ويكدرها، والعرب يمتدحون بترك المن بالنعمة، أي: لا يمن عليك المنة التي تؤذيك، ولكن يمن عليك منة رحمة وكرامة، والمن المؤذي كما ذكر عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[البقرة: ٢٦٣] فليس لأحد عليك منة تؤذيك، وإن أجرك غير مقدر بالأعمال حتى يجري بقدر الأعمال، فإذا انقطعت الأعمال انقطع الأجر وانقرض، بل يتتابع عليك ويدر، وقيل :الواهن، وقيل : محسوب أي: لا نحسب عليك النعم، فتفنى بفناء الحساب' وقيل :لا يمن به عليك، ولا يكدره من به. وقيل : أجرا بغير عمل،وقيل: غير مقدر وهو الفضل،لأن الجزاء مقدر، والفضل غير مقدر[1].

وهذ الآية كقوله تعالى:﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود:١٠٨]،﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[التين: ٦].

وقال سبحانه وتعالى في حق أمة محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾] فصلت:٨] .

يخبر الله سبحانه وتعالى عما أعده للذين صدقوا به سبحانه وبرسوله، وعملوا بما أمرهم به من الأعمال الصالحة، وانتهوا عما نهاهم عنه بأن لهم أجرا عظيما، والأجر جزاء العمل، وجزاء عمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات هو نعيم الجنة، ووصفه بقوله:﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾، وفي بيان المراد بذلك أقوال:

فقيل: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي : غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه.

وقيل:﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: لا منة عليهم فيه – وذلك في الآخرة – فيزاد لهم في الآخرة على قدر أعمالهم، ولا يمن عليهم في تلك الزيادة، لأنه قد وعدهم به، ووعده تعالى ذكره حق، فلا منة تلحقهم في إتمام ما وعدهم به.

وهذا القول يمكن أن يرد عليه فيقال: كل ما أنعم الله به على عباده هو مِنَة مِنْه سبحانه وتعالى، قال الله تعالى :﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحجرات: ١٧]، وذكر

---

(١) – انظر: جامع البيان (٥٢٨/٢٣)، معاني القرآن وإعرابه (٢٠٤/٥)، تأويلات أهل السنة (١٣٦/١٠)، بحر العلوم (٤٨٠/٣)، الكشف والبيان (٩/١٠)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٦١٨/١٢)، النكت والعيون (٦١/٦)، تفسير السمعاني (١٧/٦)، معالم التنزيل (١٣٠/٥)، المحرر الوجيز (٣٤٦/٥)، مفاتيح الغيب (٤١/٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٦/١٨)، تفسير القرآن العظيم (١٨٨/٨)، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٨/١).

عن أهل الجنة أنهم يقولون: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[الطور: ٢٧]، والأحاديث تدل على أنه لن يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ورحمته.

وقيل: ﴿ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾ أي : غير ممنوع ومقطوع عنهم في حال ضعفهم،، وذلك – واللَّه أعلم – أن من كان يعمل في حال شبابه وقوته الصالحات والطاعات، ثم كبر وعجز عن إتيانها أنه لا يمنع ولا ينقص منه الأجر الذي كان مُجرى عليه ويكتب له في حال شبابه وقوته.

وقيل:﴿ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾ غير محسوب، لأن كل محسوب محصور، فهو معد لأن يمن به، فيظهر في الآية أنه وصفه بعدم المن والأذى لأنه من الله الغني، فهو شريف لا من فيه، وإنما أعطيات البشر هي التي يدخلها المن(١) .

قال السعدي رحمه الله : (﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بهذا الكتاب، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة. ﴿ لَهُمۡ أَجۡرٌ ﴾ أي: عظيم ﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾ أي: غير مقطوع ولا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات) (٢).

قال الشنقيطي رحمه الله :﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾ أي غير مقطوع، فالممنون اسم مفعول منه بمعنى قطعه، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن أجرهم غير ممنون نص الله تعالى عليه في آيات أخر من كتابه، كقوله تعالى في سورة هو: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾[هود:١٠٨]، فقوله: ﴿ غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾أي غير مقطوع، وبه تعلم أن ﴿ غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ و ﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾ – معناهما واحد، وكقوله تعالى في سورة الانشقاق:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾[الانشقاق:٢٥]،وقوله تعالى في سورة التين :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾[التين: ٦]، وقوله في «النحل»: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص:٥٤] أي ما له من انتهاء ولا انقطاع، وهذا الذي ذكرنا هو الذي عليه الجمهور خلافا لمن قال: إن معنى ﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾ غير ممنون عليهم به.

وعليه فالمن في الآية من جنس المن المذكور في قوله تعالى:﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[البقرة :٢٦٤]، ومن قال: إن معنى ﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾غير منقوص، محتجا بأن

(١) – انظر: جامع البيان (٤٣١/٢١)، معاني القرآن وإعرابه (٣٠٦/٥)، تأويلات أهل السنة (٦١/٩)، بحر العلوم (٢١٩/٣)، الهداية إلى غاية النهاية (٦٤٨٢/١٠)، النكت والعيون (١٦٩/٥)، المحرر الوجيز (٥/٥)، تفسير القرآن العظيم (١٦٤/٧) .

(٢) – تيسير الكريم المنان (٧٤٤/١).

العرب تطلق الممنون على المنقوص، قالوا: هذا وإن صح لغة، فالأظهر أنه ليس معنى الآية، بل معناها هو ما قدمنا. والعلم عند الله تعالى[1].

المبحث السابع: الشهادة على الأمم

قال الله تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء:٤١].

وجه النظم : هو أنه تعالى بين في الآيات المتقدمة أن في الآخرة لا يجري على أحد ظلم، وبين تعالى في هذه الآية أن ذلك يجري بشهادة الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين جعلهم الله تعالى الحجة على الخلق، لتكون الحجة على المسيء أبلغ، والتبكيت له أعظم، وحسرته أشد، ويكون سرور من قبل ذلك من الرسول وأظهر الطاعة أعظم، ويكون هذا وعيدا للكفار، ووعدا للمطيعين كما تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٠] [2].

و" كيف" في موضع نصب مفعول مقدم بفعل تقديره في آخر الآية: ترى حالهم، أو يكونون، أو نحوه، أي فكيف تكون حال هؤلاء يوم القيامة، وحذف " تكون حالهم " لأن في الكلام دليلا على ما حذف، و " كيف " لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها معنى التوبيخ، أي نأتي بكل نبي أمة يشهد عليها ولها.

قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه: إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرَّة، فكيف بهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[3] .

والشهيد: نبي الأمة، هو شاهد بتبليغ الرسالة من ربهم، يشهد على الأمة بأعمالها، وتصديقها رسلَها أو تكذيبها، والمعنى: وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا يعني على أمتك، وقيل على هؤلاء المنافقين والمشركين، وقيل الإشارة بقوله" عَلَى هَؤُلَاءِ "﴿ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار، والمعنى فكيف يكون حال هؤلاء الكفار يوم القيامة﴿ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾أمعذبين أم منعمين. وفي المراد بشهادته أن يشهد على كل أمته بأنه بلغها ما تقوم به الحجة عليها، وقيل : أن يشهد عليها بعملها، وقيل يشهد عليها بإيمانهم، وقيل يشهد لهم وعليهم[4].

---

(١) – انظر : أضواء البيان (١٢/٧) .

(٢) – انظر: مفاتيح الغيب (٨٣/١٠) .

(٣) – انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٦٨/٨) .

(٤) – انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٦٨/٨)، معاني القرآن وإعرابه (٥٣/٢)، بحر العلوم (٣٠٣/١)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٣٣٠/٢)، النكت والعيون (٤٨٨/١)، تفسير السمعاني (٤٢٨/١)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٥٤/٢)، لباب التأويل (٣٧٧/١)، المحرر الوجيز (٥٥/٢)، زاد المسير (٤٠٦/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٨/٥)، فتح القدير (٥٣٩/١)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾يقول تعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه: فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة وحين يجيء من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام؟ كما قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٦٩]، وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩]) [(١)].

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أنزل، قال: «نعم» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٤١]، قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[(٢)].

قال القرطبي رحمه الله : (قال علماؤنا: بكاء النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، ويؤتى به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة شهيدا) [(٣)] .

وقال سبحانه وتعالى في حق أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة:١٤٣].

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ ﴾الكاف للتشبيه، وهي مردودة على قوله تعالى:﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾[البقرة:١٣٠]، أي: كما اخترنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذريته واصطفيناهم، هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه والسلام، وبما جاءكم به من عند الله تبارك وتعالى، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل بأن جعلناكم ﴿ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، و"الأمة"، هي القرن من الناس والصِّنف منهم ومن غيرهم [(٤)] .

---

(١) – تفسير القرآن الكريم (٣٠٦/٢).

(٢) – رواه البخاري في صحيحه (١٩٦/٦)، كتاب فضائل القرآن، باب : قول المقرئ للقارئ حسبك، حديث رقم (٥٠٥٠).

(٣) – الجامع لأحكام القرآن (١٩٧/٥) .

(٤) – انظر: جامع البيان (١٤١/٣)، معاني القرآن وإعرابه (٢١٩/١)، بحر العلوم (١٠٠/١)، الكشف والبيان (٨/٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٧٨/١)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٢٤/١)، معالم التنزيل (١٤٧/١)، المحرر الوجيز (٢١٨/١)، زاد المسير (١١٩/١) .

"وَسَطًا" الوسَط في كلام العرب العدل الخيارُ، كما قال تعالى في آيــة أخرى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾[القلم: ٢٨] أي: أخيرهم وأعدلهم، يقال : " فلان وَسَطُ الحسب في قومه"، أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هو أوسط قريش حسبا أي من خيارها فالأوسط عبارة عن كل ما هو خير [١].

والوسط : الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل" وسَط الدار" واختاره الطبري هنا بحجة أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى عليه الصلاة والسلام ما قالوا، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله تعالى، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك [٢]، وقيل :جعلت قبلتكم وسطا بين القبلتين، فإن اليهود يصلون نحو المغرب، والنصارى نحو المشرق، وأنتم بينهما[٣].

والمراد بقوله " وسطا " هنا أي: عدلا، وقال بعضهم: أخيارا، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل، أي جعلناكم عدلا للخلائق[٤] .

﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾"الشهداء" جمع " شَهيد "، والمعنى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾عُدولا لتكونوا شُهداءَ لأنبيائي ورسُلي على أممها، أنها قد بلغت أممها ما أُمرَت ببلاغه من رسالاتي[٥].

والمراد بالناس : جميع الجنس، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم القيامة للأنبياء على أممهم بالتبليغ.

وقيل : معنى الآية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أمه قال : مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرا، فوجبت له الجنة،

---

(١) – انظر: جامع البيان (١٤١/٣)، معاني القرآن وإعرابه (٢١٩/١)، بحر العلوم (١٠٠/١)، الكشف والبيان (٨/٢)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٢٣/١) ، معالم التنزيل (١٤٧/١)، المحرر الوجيز (٢١٩/١)، زاد المسير (١١٩/١)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٥/١) .

(٢) – انظر: جامع البيان (١٤١/٣)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٢٣/١)، تفسير السمعاني (١٤٩/١)، المحرر الوجيز (٢١٩/١).

(٣) – زاد المسير (١١٩/١) .

(٤) – انظر: جامع البيان (١٤١/٣)، معاني القرآن وإعرابه (٢١٩/١)، بحر العلوم (١٠٠/١)، الكشف والبيان (٨/٢)، النكت والعيون (١٩٩/١)، تفسير القرآن العظيم (٤٥٤/١) .

(٥) – انظر: جامع البيان (١٤٥/٣)، بحر العلوم (١٠٠/١)، الكشف والبيان (٨/٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٧٨/١)، النكت والعيون (١٩٩/١)، زاد المسير (١١٩/١).

وهذا أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[١] روي في بعض الطرق أنه قرأ لتكونوا شهداء على الناس [٢].

وقيل : لتشهدوا على أهل الكتاب بتبليغ الرسول إليهم رسالة ربهم[٣] .

وقيل : لتكونوا محتجين على الأمم كلها، فعبر عن الاحتجاج بالشهادة [٤] .

﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾المعنى : ويكونَ رسولي محمدٌ صلى الله عليه وسلم شهيدًا عليكم، بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾والوسط: العدل "[٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (لما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى:﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[الحج: ٧٨])[٦].

(١) – رواه البخاري في صحيحه (٩٧/٢)، كتاب : الجنائز، باب :ثناء الناس على الميت، حديث رقم (١٣٦٧)، ورواه مسلم في صحيحه (٦٥٥/٢)، كتاب : الجنائز، باب : فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، حديث رقم (٩٤٩) .

(٢) – المحرر الوجيز (٢١٩/١) .

(٣) – النكت والعيون (١٩٩/١) .

(٤) – انظر: جامع البيان (١٤٥/٣)، بحر العلوم (١٠٠/١)، الكشف والبيان (٨/٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٧٨/١)، النكت والعيون (١٩٩/١)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٢٥/١)، تفسير السمعاني (١٤٩/١)، المحرر الوجيز (٢١٩/١) .

(٥) – رواه البخاري في صحيحه (١٣٤/٤)، كتاب : أحاديث الأنبياء، باب : {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم} [نوح: ١]، حديث رقم (٣٣٣٩).

(٦) – تفسير القرآن العظيم (٤٥٤/١) .

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وسلام على نبيه المصطفى، الحمد لله الذي يسر وأعان على إنهاء هذ البحث والذي عرضت فيه بيان بعض الآيات القرآنية التي تبين الشبه في المنح الربانية بين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وبين أمته، وقد توصلت إلى نتائج تتلخص بما يلي .

١- ضرورة تدبر القرآن الكريم والتأمل فيه، ففيه – مع كونه عبادة وقربة لله سبحانه – تنشيط للعقل، وتهذيب للنفس، واكتساب علوم وهدايات .

٢- ورد في القرآن الكريم كثير من التشابه بين المنح الربانية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته عرضتها في هذا البحث .

٣ – أوصي الباحثين عموما والمتخصصين بالدراسات القرآنية خصوصا بالتركيز على التفسير الموضوعي المتعلق بالقرآن الكريم .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المراجع:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل.ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٤- بحر العلوم. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٥- البحر المحيط في التفسير.أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٧- التسهيل لعلوم التنزيل.أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٨- تفسير القرآن .أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٩- تفسير القرآن.أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن

عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٠- تفسير القرآن العزيز .أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

١١- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .

١٢- تفسير القرآن العظيم.أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٣- تفسير المراغي .أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٤- تهذيب اللغة.محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٥- التوقيف على مهمات التعاريف.زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب – القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م. ط١

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن.محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩- جامع الرسائل .تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحقق : د. محمد رشاد سالم، الناشر : دار العطاء – الرياض، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

٢٠- الجامع لأحكام القرآن .أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢١- جمهرة اللغة.أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٢٣-روح البيان.إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٤- زاد المسير في علم التفسير.جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٥- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٦- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني –

د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ دار العلم للملايين بيروت، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

٢٨- الطبقات الكبرى .المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

٢٩- الفتاوى الكبرى لابن تيمية . دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

٣٠- فتح القدير.المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٣١-كتاب العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان

٣٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٥- لباب التأويل في معاني التنزيل. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، المحقق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١- ١٤١٥ هـ.

٣٦- اللباب في علوم الكتاب.المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣٧- لطائف الإشارات .المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني .الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة .

٣٨- لسان العرب.المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٣٩- مجمل اللغة لابن فارس.المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٤٠- المحكم والمحيط الأعظم . أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي[ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٤١- المخصص.أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٤٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل .أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٤٣- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام . تقي الدين ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ .

٤٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن .محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٦- معاني القرآن وإعرابه.المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٧- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٨- مفاتيح الغيب .أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.

٤٩- المفردات في غريب القرآن .أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١ دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، - ١٤١٢ هـ.

٥٠- النكت والعيون. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط دار الكتب العلمية - بيروت .

٥١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، (ت ٤٦٨هـ)، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٥ هـ

٥٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير

الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٥٣- النهاية في غريب الحديث والأثر .مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٥٤- الهداية إلى بلوغ النهاية : أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي(ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي.